جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم العلوم الانسانية

شعبة التاريخ

– محاضرات السنة الثانية ليسانس عن بعد (تاريخ).(2020–2021م)

– تخصص: ليسانس تاريخ.

– مادة: تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر.

– الأستاذ: عبد القادر فلوح.

مقدمة:

يعد موضوع الحياة الثقافية في الجزائر أثناء الفترة الحديثة والمعاصرة، من المواضيع الهامة في تاريخ الجزائر العام،لإرتباطه بتكوين الإنسان الجزائري الذي يبقى باستمرار متمسكا بالمقومات الدينية والتاريخية له. ومن هنا تكمن أهمية البحث في الأوضاع الثقافية للجزائر في فترات مختلفة. وكثيرة تلك الأبحاث التاريخية التي استطاعت، رغم صعوبة الوصول للمصادر الأساسية، أن تؤكد على أن المجتمع الجزائري يمتلك كل المقومات الثقافية الأساسية والتي تجعله رائدًا في منطقة المغرب الإسلامي، بالرغم من بحوث أخرى تنفي عليه ريادته في هذا المجال. وهو ما نحاول من خلال مجموعة المحاضرات المقدمة الى التأكيد على أن المجتمع الجزائري انفرد بخاصية ثقافية تقوم على أصالة إنتاجه الثقافي وتنوعه، ماتركه يحافظ على عاداته وتقاليده في المجال الثقافي.

تقوم عناصر المادة على المحاور التالية:

- الأوضاع الثقافية في بداية العهد العثماني.

- المؤسسات الثقافية (المساجد - الاوقاف- الزوايا –المعاهد العليا- المكتبات).

1- الأوضاع الثقافية في بداية العهد العثماني:

عاشت الجزائر في بداية القرن16م وضعا سياسيا، تميز بالاعتداءات المتكررة لاسبانيا الكاثوليكية على سواحل ومدن الجزائر المطلة على البحر المتوسط ، انتهت باحتلالها، والتي أدت إلى هجرة سكانية من هذه المدن، زادها محنة الضعف الذي أصاب السلطة الشرعية بمدينة تلمسان عاصمة دولة بني عبد الواد، كان هذا الوضع السيئ للجزائر تأثيره الواضح على الانتاج الفكري الجزائري الذي تراجع بسبب هجرة العلماء من ارض الجزائر وقيام اسبانيا بتخريب مراكز الثقافة الجزائرية.

وامام هذا الوضع السياسي الذي تعيشه مدن وبوادي الجزائر، جعل الجزائر تدخل مرحلة جديدة تميزت بانضمامها إلى الدولة العثمانية(**راجع في هذا الاطار محاضرات تاريخ الجزائر الحديث**). أكسبها ذلك استقرارا سياسيًا مما أدى الى عودة الحياة الثقافية للجزائر. وقد امتازت مدن تلمسان وبجاية ومازونة ومدينة الجزائر بكثرة علمائها وفقهائها وأدبائها، وانتشرت المدارس والمساجد والزوايا ، فتضاعف التحصيل والانتاج العلمي وتطورت العلوم النقلية والعقلية المختلفة.

2-المؤسسات الثقافية في الجزائر:

أ-المساجد:

تعتبر من أهم المؤسسات التعليمية، وهي مظهر من المظاهر والمنشآت العمرانية التي تزخر بها مدن وبوادي الجزائر. وقد ذكر فونتير دو بارادي venture de paradis في كتابه ان مدينة الجزائر تتوفر على 12 مسجدًا كبيرًا وأخرى صغيرة، يتلو فيها القرآن وتعليم مختلف العلوم الفقهية من خلال الدروس التي يقدمها فقهاء ومعلمون وأساتذة للطلبة من مختلف الأعمار بالمدن الجزائرية.

ومن أهم مساجد المدن الجزائرية الكبرى نذكر جامع كتشاوة 1612م ومسجد علي خوجة، وجامع علي بتشين والجامع الجديد(1660م) بمدينة الجزائر بدار السلطان، أما بمدينة قسنطينة فقد عرفت هي الأخرى تشييد عدد من المساجد ومن اهمها الجامع الكبير بمدينة قسنطينية وجامع سيدي الكتاني (1776م) والجامع الاخضر وجامع حسن باي، كما كانت مدينة تلمسان منارة علمية بانتشار المساجد ذات البناء العمراني الاسلامي المميز ومن أهمها الجامع الاعظم (1080م وأعيد بناءه بتاريخ 1135م)، ومسجد سيدي ابي حسن التنسي ومسجد سيدي الحلوي الشوذي، وعرفت هي الاخرى مدينة عنابة اجمل المساجد مثل مسجد صالح باي (1792م).

ومما سبق، فإن الاهتمام ببناء المساجد والعناية بها وكثافتها وصيانتها خلال العهد العثماني كان كبيراً والمشاركة في بنائها، كانت من الحكام ومن

عامة الناس على السواء. وكان هذا الاهتمام من دوافع دينية خدمة للمذهب الملكي والمذهب الحنفي وارتباط المجتمع الجزائري المسلم المتعدد التركيبة الاجتماعية بدينه الاسلام. وانتقل دور المساجد من دور العبادة كالصلاة الى الدور التعليمي من خلال تحفيظ القرآن وتدريسه على المراحل التعليمية المختلفة، وبذلك حافظ المسجد على اصالة المجتمع الجزائري المسلم على الرغم من الاسلوب التقليدي في عملية التعليم. ومن هنا كان الدور الثقافي

للمساجد مميز من خلال امتزاج الدور الديني بالطابع الثقافي، فقد انتشرت فيها المكتبات الغنية بالكتب ذات القيمة العلمية الكبيرة، وكانت المكتبات ملحقة بالمساجد ويقول العلامة التمقروتي المغربي في هذا الصدد: (...والكتب فيها – يقصد مدينة الجزائر – أوجد من غيرها من بلاد افريقيا وتوجد بها كتب الاندلس كثيراً). ويقول المرحوم الاستاذ ابو القاسم سعد الله (... أن الباحثين الفرنسيين الذين شهدوا وجمعوا المخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية غداة الاحتلال، انهم كانوا مندهشين من كثرة الكتب التي وجدوها ومن تنوعها ومن جمالها ومن العناية بها....).

2- الزوايا:

انتشرت الزوايا التي احتضنت الطرق الصوفية في العهد العثماني بكثافة كبيرة، وأصبح الطلبة يتلقون العلوم الشرعية المختلفة فيها. وانتشرت الزوايا أكثر في الأرياف ولعبت دوراً ايجابيا في المدن وانتشرت أكثر في بايلك الغرب الجزائري.

لقد انتشرت الزوايا في الجزائر شرقاً وغرباً وفي المدن والريف، ولا تجد منطقة تخلو من أية زاوية. وقد ساعدت السلطة العثمانية في انتشار الزوايا بالجزائر، ووفرت المناخ والبيئة والظروف على انتشارها، كما ساهمت الزوايا في استقرار نظام الحكم ودعمته بالجزائر. ومن العوامل التي ادت الى انتشار الزوايا خارج المدن انتشار المرابطين في الريف الجزائري البعيدين عن مراقبة السلطة السياسية، وسهولة السيطرة على اهل الريف بسبب بساطة تفكيرهم وارتباطهم بالدين الاسلامي وحبهم له.وارتباط اهل الريف بالاراضي الزراعية والرعي وعلاقة الزوايا بالاراضي الوقفية كمصدر للرزق ودعم استمرار عمل الزاوية من خلال تقديم أهل الريف جزء من انتاجهم للزوايا. وقد زاد انتشارها في الريف انتشار المساجد والمدارس المتخصصة للتعليم في المدن الكبرى.

وترجع بعض الدراسات أن منطقة الغرب الجزائري، اشتهرت بتواجد الكثير من الزوايا لجوارها من المغرب الاقصى، الذي اشتهر بدوره ببروز الكثير من الطرق الصوفية والزوايا التي اثرت على المنطقة الغربية من الجزائر بسبب العلاقة القوية بين البلدين من خلال الاحتكاك الدائم لعلماء البلدين وطلبتهما، هذا الاحتكاك ادى الى انتشار الزوايا والطرق الصوفية في منطقة الغرب الجزائري، وهي أيضا عرفت احتلال اسباني لمدة طويلة استوجب على علماء المنطقة حمل لواء الجهاد ضده من خلال تربية اجيال على الجهاد وقادت الزوايا والطرف الصوفية ذلك بحيث عرفت الزاوية بانها مؤسسة لزعماء الطرق الصوفية وطلابهم.

3-الاوقاف:

يعتبر الوقف من القيم الاصيلة للحضارة الاسلامية، ويعبر عن ارادة الخير والتضامن عند الفرد المسلم، ويندرج ضمن الصدقات الجارية باجماع فقهاء المسلمين.

لقد عرف المجتمع الجزائري المسلم الوقف قبل حلول العثمانيين بالجزائر وتمركزهم فيها، وقد تركزت الاوقاف بالقرب من المدن والمناطق التي يدين سكانها بالولاء للزوايا والطرق الصوفية، واغلب الاوقاف تتقاسمها المؤسسات الدينية.

ويعتبر الوقف تعبيرا صادقا عن ارادة الخير وتكريس روح التضامن والتكافل بين الافراد في اطار الجماعة التي يعيشون ضمنها، مما يجعل مؤسسة الوقف تنظيما خيريا يستمد وجوده من احكام شرعية يقوم باداء دوره في اطار صيغ تضامنية .وقد اصبح الوقف واقعا اجتماعيا ومظهرا ثقافيا بحيث اوجد نوع من الوحدة الثقافية لانه المورد الاساسي للمؤسسات التعليمية.

ان علاقة الوقف بالتعليم علاقة عضوية، حيث كان التعليم حرا من سيطرة الدولة والحكام العثمانيين، فكان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم ووسائلهم الخاصة تعليم اطفالهم القرآن والحديث، وكانت المدارس والزوايا والمساجد تمول وتتغذى بالاوقاف مثل الاراضي الزراعية واملاك عقارية أخرى بحيث كانت اساس في تدعيم التعليم وحماية الطلبة والمتعلمين.وبهذا ارتبط الوقف

بالحياة التعليمية للجزائريين من خلال اعتباره عنصرا فعالا في استمرار المؤسسات التعليمية بتموين وتمويل مراكز التعليم المختلفة.